المحتلين / والمطلوب الثاني طرد المحتلين / والمطلوب الثالث والرابع طرد المحتلين / المطلوب الألف طرد المحتلين / وجواب المطلوب / حتماً سيكون فلسطين»(٤٢).

ولا تخفى الجوانب الفرعية من حياة الانتفاضة وشعبها في شعر شعراء فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨، من طرد وهدم واغلاق منازل وفرض حصار على المخيمات، واستشهاد الاطفال الابطال، وبتر الاطراف. فعبر أغنية حزينة منسابة جسّد فرحات فرحات فعل سلطات الاحتلال الاجرامي، بتر الاطراف، شعرياً: «عذراً أغنيتي ان بترت منك الاطراف / فالنغمة ما زالت تدمي / وهجاً مطراً دمعاً / وحنيني لليوم الاول / يبقى»(٤٣).

ونجد في مكان آخر، في احدى قصائد نزيه خير، تصويراً لحالة الانتفاضة الجماهيرية عبر الدروس الاولى للاطفال، في خطاب مباشر وتثويري: «فلنبدأ درساً بالألف، ودرساً بالباء / انتفضوا يا كل شعوب البحر / ويا كل شعوب الصحراء / اسقطنا من زمن أدوات النهي / وآثرنا أفعال الامر / اصبحنا جوقة انشاد / في عرس لا يكمل الّا بالنصر»(٤٤).

على ان أعمق ما تتجلّى به لحظة الصدام بين أولاد الانتفاضة وجيش الاحتلال تجسّد في قصيدة لحسين مهنّا، وبلغة شفّافة تنبض بالموسيقى والقلق الذي يستطيع القبض على لحظة الفراغ حين بدء الصدام، عبر محاورة بين تلميذين ينويان الذهاب الى المدرسة: « ـ أحللت مسألة الحساب؟ / حاولت لم أفلح؛ وأنت حللتها؟ طبعاً ـ معلمة الحساب ذكية وتطيل في شرح المسائل! كم ساعة في اليوم تدرس؟ / ليس أكثر منك لكني كثير الانتباه / وأنت تكثر شيطناتك دون طائل...

« ـ أرأيت؟ / ـ ماذا؟ / ـ الجند قد سدّوا المداخل / ـ لا خوف، هيا قد تأخّرنا كثيراً / ما هذه الطلقات... اسرع يا صديقي ثمّ حاسب / ـ آه أخي حسان ما هذا الدوار، وغصة ومرارة في الحلق / أين حقيبتي، عطشان يا حسّان أين الماء... / ما هذي الدماء؟! / حسّان اني لا أراك... أظلمت السماء»(٤٥).

لكن شهيد الانتفاضة عند عطاالله جبر لا ينتهي، ولا تنفصل رؤياه عن القابل الذي يأتي حاضناً بيديه قمر الولادة، وعبر خطابية مباشرة تظل تلحّ على الايقاع الشعري لتغذّ سيرها في الانشاء النثري:

« ـ شهد الشهيد بأن سيشهد في ظلام المقبرة / قمر الشهادة حاضناً بدر الولادة

« ـ احمل صليبك!

«انتفض / فمرارة الاذلال تحرقها انتفاضة»(٤٦).

الانتفاضة في الرواية

ان الفن الروائي الفلسطيني، وانْ كان يتمتّع بقسط وافر من الحداثة، الّا انه يكاد ينحسر الى مواقع الدفاع عن وجوده تحت الاحتلال؛ هذا باستثناء أعمال الروائي الفلسطيني اميل حبيبي (لكع بن لكع، والوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل، واخطيّة) الذي كرّس فيها شخصية روائية فلسطينية عريضة القاعدة، مديدة القامة.

ومع الانتفاضة الفلسطينية، نشطت حركة ابداعية في فلسطين والشتات على صعيد مختلف مجالات الثقافة. ولكن هذا النشاط، على الرغم من كثافته، ظل، على صعيد الحقل الروائي، يناور في مكانه. «لذلك بدأت الرواية ـ في محاولات أولى ـ ' تقرض ' الحدث قرضاً دون ان تتدخّل في آنيته،